جامعة القاهرة
كلية الآثار

الآثار المعمارية للسلطان الاشرف برسباى بمدينة القاهرة

رسالة ماجستير فى العمارة الإسلامية

اعداد الطالب
محمد عبد الستار عثمان

اشراف
أ . د . سعاد ماهر محمد
عميدة كلية الآثار

١٩٧٧

الفهرست

البيـــــــــــان	رقم الصفحة
مقدمة تاريخية عن عصر برسباى	١
الباب الاول : تاريخ السلطان برسباى	
الفصل الاول : ترجمة حياة السلطان برسباى	١٤
الفصل الثانى : وظائف السلطان برسباى	٢٨
الفصل الثالث : آثار برسباى الداريـــة	٣٥
الفصل الرابع : حبوس السلطان برسباى واوقافه	٦١
الباب الثانى : المدرسة الاشرفية	
الفصل الاول : تاريخ المدرسة	٨٩
الفصل الثانى : التخطيط المعمارى للمدرسة	١١٤
الفصل الثالث : ملحقات المدرسة	١٢٥
الباب الثالث : الخانقاه وملحقاتها ـ القبة الرفاعية	
الفصل الاول : تاريخ الخانقاه وملحقاتها	١٥٠
الفصل الثانى : التخطيط المعمارى للخانقاه وملحقاتها	١٦٢
الفصل الثالث : تاريخ القبة الرفاعية	١٨٨
الباب الرابع : جامع برسباى بالخانكة	
الفصل الاول : تاريخ الجامع	٢٠٥
الفصل الثانى : التخطيط المعمارى للجامع	٢١٦
الفصل الثالث : ملحقات الجامع	٢٣٦
الباب الخامس : الزخارف	
الفصل الاول : الزخارف المعمارية	٢٥٠
الفصل الثانى : " النباتية والهندسية	٢٧٨
الخاتمـــة	٣٠٠
ملحق (١) مصروفات منشآت برسباى من واقع وقفياته	٣٠٥
الفهارس	٣٢٥
اللوحات	٣١٥
الاشكال	٣٢٢
المراجع	٣٣٣

تولى السلطان برسباى الحكم فى ٨ ربيع الاخر سنة ٨٢٥ هـ سنة ١٤٢٢ م ، وظل يحكم حتى وفاته فى ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ سنة ١٤٣٩ م ، أى انه حكم ستة عشر عاما ونصف تقريبا ، وهى مدة طويلة لم يحققها من سلاطين الجراكسة سوى السلطان قايتباى (١) .

واتبع السلطان برسباى سياسة داخلية وخارجية ساعدت على استمرارة فى الحكم ، فلم يتولى السلطنة الا بعد القضاء على اكبر خصومة من أمراء المماليك جانى باك الصوفى كما انه قضى قضاء مبرما على ماقام فى بداية عهدة من ثورات ، كذلك فانة اتبع سياسة النقل والعزل بين امراء المماليك ، بل انة قتل بالسم من خشى منهم على سلطنته كما انه اكثر من شراء المماليك ليكونوا عونا له (٢) ، وقد ساعدت هذة السياسة على طول مدة حكمة ، التى كان لها اثرها على كثرة منشآتة المعمارية .

وبهذه السياسة ساد عصر برسباى نوعا من الهدوء والاستقرار (٣) ، لم يتوفر لمن سبقه من سلاطين الجراكسة ، وهو الامر الذى مكنة من فتح قبرص سنة ٨٢٩ هـ سنة ١٤٢٦ م . وكان لة اثره على الحياة الاقتصادية فى عصرة وازدهارها .

أ ـ الحياة الاقتصادية فى عصر برسباى :

كانت الحياة الاقتصادية تعتمد بصفة اساسية فى العصر المملوكى على التجارة بجانب الزراعة والصناعة .

وقد لعبت التجارة الدور الرئيسى فى الاقتصاد المملوكى ، ذلك ان المماليك كانوا سادة البحرين المتوسط والأحمر . وقد ادرك المسيحيون ان التجارة عصب حياة المماليك ، لذلك نجد ان البابا كان يحرم على المسيحيين الاتجار مع المماليك ، ليقضى عليهم لكنها محاولة باءت بالفشل ، هذا بالاضافة الى أن التجارة المملوكية لم تسلم من اعتداءات الفرنج القراصنة ، الذين عادة ما اعتدوا على سفن التجارة والموانى المملوكية (٤) .

١ ـ حكم السلطان قايتباى قرابة ٢٩ عاما (من سنة ٨٧٢ ـ سنة ٩٠١ هـ ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦ م .
٢ ـ للاستزادة عن هذة الاحداث التاريخية راجع د . محمد كامل مراد . الاشرف برسباى سياسة الداخلية وعلاقاتة الخارجية (رسالة غير مطبوعة مقدمة لجامعة الازهر .

٣ ـ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى جـ ١ ورقة ٢٩ مخطوط ، السخاوى الضوء اللامع ، جـ ٣ صفحة ١٠ ، ابن اياس بدائع الزهور جـ ١ صـ ٣٣ .

وكانت الظروف السياسية التي تعرضت لها المنطقة اثناء عهد المماليك ، أثرها الكبير في خدمة التجارة المملوكية ، فقد أثرت حروب تيمور على اغلاق الطرق التجارية الشمالية في آسيا ، كما كان لانتصارات الاتراك في اوربا أثرها اذ جعل المرور بالمتاجر من هناك أمرا محفوفا بالخطر ، كذلك كان لاحتلال جنوه لميناء فيماجوستا في قبرص أثره في التجاء الاوربيين الى موانئ سوريا ، هذا بالاضافة الى ان لزوال مملكة أرمينية سنة ١٣٧٥ م أثره ، اذ ادى ذلك الى غلق الطرق التجارية والاسواق بآسيا الصغرى في وجه الاوربيين ، وقد اجتمعت هذه العوامل لتلجئ التجار الشرقيين الى المرور بالطرق التجارية عبر الدولة المملوكية ، كذلك حتمت التجاء التجار الاوربيين الى موانئ هذه الدولة لشراء وبيع منتجاتهم بما عاد على الدولة بالربح الكثير(١)

وقد أدرك السلطان برسباى أهمية التجارة فانتهج سياسة ناجحة عادت عليه وعلى الدولة بالربح الوفير ، وقد كان لهذه السياسة اكثر من اتجاه . فقد عمل على اجتذاب التجار الشرقيين وذلك باصدار الاوامر الى حكام الموانى والثغور بترغيب التجار بشتى الطرق والاساليب . فاصدر اوامره الى قرقماس الشعبانى نائب السلطنة في بلاد الحجاز بترغيب التجار الهنود والصينيين للنزول بميناء جدة ، ولبى قرقماس أوامره ، واتصل بالتاجر الهندى ابراهيم احد التجار الشرقيين الذى وجد معاملة سيئة في ميناء عدن من جانب الرسوليين ، وفي ميناء سواكن من ابن عجلان سنة ٨٢٥ هـ سنة ١٤٢٢ م ، فالتجأ الى الينبع في سنة ٨٢٧ هـ وكانت مكة في هذه الاثناء تحت اشراف قرقماس الشعبانى الذى اسرع الى الاتصال به ورغبة في النزول بميناء جدة ، فجاء في سنة ٨٢٨ هـ ١٤٢٤ م باسطول من اربع عشرة سفينة ثم ضاعف العدد سنة ٨٢٩ هـ ١٤٢٥ م ، حتى وصل الى اربعين سفينة (٢) .

وزاد بعد ذلك اهتمام برسباى بميناء جدة ، فعين له من قبل الدولة موظفين رسميين يتولون شئونه (٣) .

١ـ د . محمد كامل مراد . الاشرف برسباى سياسته الداخليه وعلاقاته الخارجية ص٤٠

٢ـ المقريزى . السلوك جـ٤ ق٢ ص٦٨٠ـ٦٨٢ .

٣ـ المرجع نفسة جـ٤ ق٢ ص٧٨٧ و ٩٢٨ . ابن تغرى بردى . النجوم جـ١٤ ص٣٦٧ ـ ٣٦٨ . السخاوى . الضوء اللامع جـ١٠ ص٧١ .

ولم يقتصر برسباى على ترغيب التجار فى ميناء جده بل اتخذ من الاجراءات ما ساعد على اجتذاب اكبر عدد من التجار ، ومن هذه الاجراءات ارساله حملة حربية لارهاب الرواتين [1] الذين تعرضوا للتجار الهنود المقبلين الى مكة ، ومنها مضاعفة الرسوم التجارية على التجارة الواردة من ميناء عدن وهو أمر يضعف قوة هذا الميناء التجارية فى الوقت الذى قرر فيه الا تزيد الضرائب بميناء جده عن ١٠٪ خاصة بعد ان زاد استغلال الموظفين بالميناء للتجار ، مما أدى الى هروبهم الى ميناء عدن سنة ٨٢٧ هـ ١٤٢٣م ، وهذه الاجراءات بالاضافة الى تحصيل الرسوم نقدا او عينا دفع الحياة التجارية بالميناء [2] .

وقد ترتب على هذا كله ان أصبحت مكة سوقا تجارية خاصة فى موسم الحج ، وحاول برسباى استغلال التجار بها فألزمهم بان يدفعوا مكوس تجارتهم فى القاهرة مهما كانت جنسياتهم . وشق على التجار ذلك فقرر السلطان جمع الضرائب منهم بمكة [3] . ولعل فى هذه السياسة ما يشير الى ما كانت تحصل عليه الدولة من اموال نتيجة هذه السياسة التجارية الناجحة مع التجار الشرقيين .

وكما خطط برسباى للتجارة مع الشرق خطط للتجارة مع الغرب ، وكان لهذا التخطيط اكثر من اتجاه ، فقد عمل من جهة على تأمين تجارته وموانيه فى البحر المتوسط من القراصنة الفرنج الذين طالما اعتدوا على موانى الدولة وعلى سفنها التجارية ، وتكررت اعتداءاتهم خاصة فى بداية عهده على الطينة والتى بنى بها برجا لحمايتها [4] . ولما كانت قبرص بموقعها المتقدم قاعدة هؤلاء القراصنة ومركز التجمع الصليبى فى ذلك العصر ، فقد رأى برسباى القضاء عليها وكانت حملاته الثلاث اليها والتى انتهت بغزوها فعلا سنة ٨٢٩ هـ ١٤٢٥م ، وقد أمن برسباى بهذا الغزو موانىء دولته الى حد كبير ، واصبحت قبرص قاعدة متقدمة للمسلمين بعد ان كانت ضدهم ، وكذلك كان لهذا الغزو أثره الدعائى فى نفوس الاوربيين فانتهجوا مع برسباى سياسة الاحترام المتبادل .

---

١ ـ المقريزى . السلوك جـ٤ ق٢ ص٧١٥

٢ ـ د . محمد كامل مراد سياستة الداخلية وعلاقاته الخارجية ص٥١ .

٣ ـ المقريزى . السلوك جـ٤ ق٢ ص٧٣٥ . ابن تغرى بردى . النجوم ج ١٤ ص٣١٠ ـ ٣١١ .

٤ ـ المقريزى . السلوك جـ٤ ق٢ ص٦٨٣ . ابن تغرى بردى . النجوم جـ١٤ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ .